

أنا وأنت على الطريق

المساواة التامة في تونس

تحت عنوان مساواة تامة بين المرأة والرجل في تونس بناء على قانون صدر منذ نحو نصف قرن، إليك يا سيدتي هذا التقرير الذي جاء في صحيفة عربية . يقول التقرير من تونس:

تتمتع المرأة التونسية بوضع قانوني لا مثيل له في العالم العربي منذ صدور قانون الأحوال الشخصية الخاص بها في عام ١٩٥٦. ينص على مساواة تامة بين المرأة والرجل. وحظر تعدد الزوجات وجعل منها مواطنة كاملة الحقوق والواجبات.

وتم اختيار موضوع وصول المرأة إلى التقنيات الجديدة للاحتفال بيوم المرأة العالمي هذه السنة. مما يعبر عن طموحات التونسيات في هذا القطاع المتطور . وقانون الأحوال الشخصية للمرأة في تونس الذي أقر قبل حوالي نصف قرن ، حدد السن القانونية للزواج في السابعة عشرة للفتاة ، شرط موافقتها. وأقر الطلاق القضائي ومنح المرأة في حال وفاة زوجها حق الوصاية على أولادها القاصرين. كما نصت بنود القانون صراحة على مبدأ المساواة بين المرأة والرجل على صعيد المواطنة وأمام القانون. وساعد هذا القانون المرأة في تونس على احتلال موقع في العديد من مجالات الحياة العامة ، وعلى المشاركة بشكل ناشط في تطور البلاد.

وتملك المرأة التونسية حق التصويت والترشح. وهي تحظى بتمثيل كبير في الحكومة ومجلس النواب والهيئات القضائية . وتشغل النساء التونسيات في أغلب الأحيان مناصب مسؤولة في الدوائر العامة، وتتولى العديد منهن إدارة مؤسسات وشركات أكثر من ٥٠٠ في العام ٢٠٠١. وتتعدى نسبة الفتيات اللواتي يذهبن إلى المدرسة حاليا ٧٠% مقابل ٦٣ و٧ في العام ١٩٦٦. ويبلغ عدد سكان تونس حوالي ١١ مليون نسمة بحسب إحصاءات رسمية نصفهم من النساء.

واعتادت الفتيات التونسيات ارتداء ملابس على الطراز الغربي، في حين أن الحجاب محظور في الإدارات العامة والمدارس والجامعات. وتأكيدا على المساواة التامة بين المرأة والرجل أعلنت وزارة الدفاع أخيرا أن التونسيات سيخضعن مثل الرجال ابتداء من هذه السنة للتجنيد الإجباري. ويلقى هذا القرار تبريره في حضور المرأة في كل قطاعات الحياة العامة وعلى جميع مستوياتها ، وكذلك وزنها في سوق العمل.

مساواة تامة بين المرأة والرجل في تونس. هذا ما أقره القانون يا سيدتي. فما هو رأيك؟ أما بالنسبة لي فأقول حبذا لو ان باقي الدول العربية تحذو حذو تونس وتتخذ هذا القرار. لماذا؟ لأنه ان الأوان أن ننظر إلى المرأة نظرة مساوية للرجل. ان الأوان يا سيدتي أن نحترم المرأة كما نحترم الرجل، أن نعتبرها ونقدرها ونقدم لها الفرص كما نقدمها للرجل تماما. ان لنا أن نمنح المرأة العربية حريتها للعلم والثقافة والعمل كما تشاء وكما تختار.

إن أكثر ما لفت نظري في هذا القانون الصادر في تونس هو قانون الأحوال الشخصية الذي حدد فيه السن القانونية للزواج في السابعة عشرة للفتاة شرط موافقتها.

حقا ألم يرفع هذا القانون من مستوى المرأة وقيمتها حين يمنحها القانون في البلاد حق الموافقة على العريس المتقدم إليها أم لا؟ ليس هذا فحسب بل ألم يمنحها حقها في أن تكون قد أتمت سني مراهقتها الأولى وهي بعد في بيت والديها تتمتع بحببتهما وحناتهما مما يساعدها على النمو والنضج العاطفي والنفسي؟

إن الزواج المبكر الذي لا يزال يتبع حتى الآن في بعض بلداننا العربية وخاصة قرانا ومناطقنا البعيدة عن المدن والتمدن ، هو بالفعل خطأ جسيم يا سيدتي. أليس كذلك؟ إن الزواج المبكر للفتيات وهن بعد في سن المراهقة ليس هو خطأ جسيم فحسب بل خطر عظيم أيضا. وهذا ما يذكرني بقصة حقيقية قرأتها مؤخرا يحكيها أهو الفتاة الضحية والدموع تنسكب على خديه. أجل حكى عن أخته الصغيرة ذات الثانية عشرة ربيعا حين أخرجها والداها من المدرسة فور ظهور علامات النضوج على جسمها الصغير. وفتشوا عن أحد رجال القرية لكي يزوجه بها. ولما لم يجدوا شابا قريبا من عمرها، تقدم رجل في الخامسة والأربعين من عمره ولديه زوجتان وأولاد وأحفاد. فرضي الأهل. وفي ليلة عرسها وهي لم تفقه بعد شيئا من الزواج اكتشفت أن هذا الرجل يريد شيئا منها. فصارت تهرب منه. ولكنه تمكن منها واغتصبها. وفي تلك الليلة بالذات ماتت الفتاة الصغيرة.

أتعلمين يا سيدتي أن الله سبحانه وتعالى في كتابه المقدس قد سنَّ للإنسان منذ البدء خطة الزواج المقدس هذا؟ أجل فلقد أتى الله لآدم الرجل الناضج المكتمل، أتى له بامرأة ناضجة ومكتملة . لم يأت الله الخالق بحواء كفتاة صغيرة مراهقة لم يكتمل نموها ونضجها بعد، بل أتاه بامرأة كاملة النمو والنضوج. وقال عنها نظيرة مثله. أي مساوية له. هذه المرأة تصلح للزواج ، لأن بنيتها قد نمت ، وعقلها نضج، وشخصيتها اكتملت.

وعليه فالزواج الصحيح يكون بين شخصين متكافئين ليس من الناحية الاجتماعية فحسب بل من الناحية الجسدية والنفسية .
وإلا فكيف يبني الرجل بيته وينجب أولادا وزوجته قاصر لا تفقه من الحياة الزوجية شيئا؟ هل يلعب لعبة الزواج أم أنه يقوم
ببناء بيت وعائلة حقا وفعلا؟

وعندما يتبع المجتمع تعاليم مغلوطة فيصفون مثلا الفتاة بأنها بعيدة عن التكامل وتبغى قيادتها كالشاة أينما شاء الأب أو الأخ
وفي ما بعد الزوج ويجب قمعها عند نشوزها كما يجب عليها الطاعة الكاملة بدون أدنى مناقشة ، كل هذه الأمور ألا تتناقض مع
تعليم الله كما جاء في الكتاب المقدس؟

إن الله الذي قال عن المرأة من البدء بأنها معين نظير آدم لهذا أتى به إليها لتكون أنيسته وشريكته وحبيبته وزوجته، من غير
المعقول أن ينعتَ المرأة بهذه الصفات التي ذكرناها.

إن الله نفسه يا سيدتي وبروحه القدوس أوصى الرجل بالمرأة إذ قال : أيها الرجال أحبوا نساءكم . وأن يعاملها باللطف
والكياسة . فهل اطلعت على الكتاب المقدس يا سيدتي وهل قرأت ما جاء فيه عن الزواج ومفهومه الإلهي الصحيح؟ أنصحك
بقراءته والتمتع بتعليم الله المبارك فيه.
